المراهقون ومشاكل النظام المدرسى

دكتور / نصر يوسف مقابلة (*)

المقـــدمة :

المراهقة هى مرحلة النمو النفسى والبيولوجى السريع والانتقال من مرحلة الطفولة الى مرحلة الرشد والنضج · وهى المرحلة التى تغير فيها الفرد غير الناضج من غاية النضج الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى · والمراهق هو الذى يمر بمرحلة بين الطفولة واكتمال النضج · ويدخل الفرد هذه المرحلة بعد انتهاء مرحلة البلوغ ومع بدء اكتمال النضج الجنسى ، والمراهقة هى تلك الفترة التى تقع مابين نهاية فترة الطفولة وفترة البلوغ فى حياة كل شخص ، وربما تكون فترة طويلة أو قصيرة ، وبداية المراهقـة تختلف من فرد لأخر ، فبعض الأفراد يكون بلوغهم مبكرا فى سن ١٢ سنة أحيانا ، وبعضهم قد يتأخر بلوغه حتى سن ١٧ سنة · وتختلف بداية مرحلة المراهقة ونهايتها من فرد الى آخر ، ومن جنس الى آخر ، ومن عائلة الى أخرى ، ومن ثقافة الى أخرى ·

وقد اختلف علماء النفس فى مدى أهمية مرحلة المراهقة · فمنهم من بالغ فى أهميتها واعتبرها «بعثا جديدا أو ميلادا جديدا» . ومنهم من اعتبرها «مجرد مرحلة نمائية عادية» من مراحل العمر متصلة خصائصها بما قبلها من مراحـــل ·

وكان ستانلى هول قد وصف مرحلة المراهقة بأنها فترة عواصـــف وضغوط ، ويرجعها الى عوامل بيولوجية هارلوك (Hurlook, 1967) وقد ظهرت دراسات أجنبية وعربية تثبت أن مرحلة المراهقة ليست «فتـرة عواصف وضغوط » بل انها فترة عادية ، وانها ليست مرحلة مستقلة من مراحل النمو الأخرى ، ولكنها مرحلة تحتوى تدرجا فى جميع جوانب النمو التى

(*) أستاذ مشارك علم النفس التربوى بجامعة اليرموك / الاردن ·

تعود فى اساسها الى فترة الطفولة ، وكل مايميز مرحلة المراهقة عن المراحل السابقة هو أن جوانب النمو تلك أخذت تسير نحو النضج فى فترة المراهقة· ففيها تنمو شخصية الفرد ، وتنضج قدراته العقلية وتتمايز استعداداته ، وتزداد خبرته ومعلوماته ، واذا انحرف فلأخطاء فى التنشئة الاجتماعية فى الطفولة والمراهقة ، وغالبا ماتكون مشاكل المراهق فى هذه المرحلة ناتجة عن التفاعل بين تكوينه النفسى غير الصحى والضغوط البيئية فى البيت والمدرسة ، وقد تزعم هذا الاتجاه علماء نفس النمو ، والتعلم الاجتماعى وعلماء الأنثروبولوجيا وغيرهم رفض حتمية الاضطرابات السلوكية فى مرحلة المراهقة ·

ولأن المراهق يريد أن ينسلخ من «المجتمع الطفولى» لينـدمج فى «مجتمع الكبار» ، يواجه أثناء محاولاته بعض الاحباطات والصراعات فيميل الى المعارضة · وقد يسرف فى هذا الاتجاه نحو الثورة على كل شىء يتسلط عليه ، وخصوصا سلطة الأسرة والمدرسة وهو أقرب شىء اليه ، الا اذا وجد المراهق توجيها سليما فانه يمر بسلام من هذه المرحلة (ابراهيم العمار ، ١٩٧٥) ·

المراهق والمدرسة :

المدرسة ضرورة اجتماعية لجأت اليها المجتمعات لاشباع حاجات نفسية وتعليمية عجزت عن أن تؤديها الأسرة بعد أن تعقدت الحياة ، فأصبحت المدرسة مجتمعا صغيرا يعيش فيه الطلاب ليتلقوا العلم والمعرفة ، وليتعودوا فيها الاعتماد على النفس وتحمل المسئولية واحترام القانون والتمسك بالحقوق وأداء الواجبات والتضحية فى سبيل الحق والعمل بروح التعاون المثمر ·

والمجتمع المدرسى حلقة وسط بين المنزل والمجتمع العام ولذلك كان دوره هاما فى تحقيق التدرج فى النمو العقلى والاجتماعى واتمام ما أعده البيت ومحاولة اصلاح ما أفسده واعداد الأفراد للحياة السليمة والنمو السليم ·

وتكفل المدرسة للمراهق ألوانا مختلفة من النشاط الاجتماعى الذى يساعده على سرعة النمو واكتمال النضج ·ويتأثر المراهق فى نموه الاجتماعى بعلاقته بمدرسيه وبمدى نفوره منهم أو حبه لهم · فالمدرس المسيطر الذى

يأمر وينهى ويهدد ويعاقب يباعد بينه وبين تلاميذه · والمدرس العادل الذى يتجاوب معهم يساعدهم على ممارسة السلوك السوى والنمو الاجتماعى الصحيح · (محمد زيدان ، ١٩٧٩) ·

وتسهم المدارس بشكل عام فى بناء الصحة العقلية لطلابها بدلا من الجنوح وعلى الرغم من ذلك فلا يزال هناك بعض المدارس قد تتسبب فى تشكيل السلوك غير السوى لبعض طلابها وبخاصة تلك المدارس ذات المستوى الضعيف فى مناهجها وهيئاتها التعليمية · ولعل العنصر الرئيسى غير الملائم لهذه المدارس هو طبيعة المنهج الدراسى · وتشير كثير من الدراسات الى وجود علاقة بين التحصيل الأكاديمى للطالب والجنوح · وأن معظم المراهقين الذين يتصفون بتحصيل أكاديمى منخفض يكون احتمال ارتكابهم أو مشاركتهم بالجنوح كبيرة (Senna, et al., 1974) · وان المشاكل الأكاديمية التى يواجهها المراهقون فى المدرسة تؤثر على عملية تكيفهم الشخصى فيها· فقد أشارت نتائج الدراسات أن هناك علاقة قوية بين الاضطرابات السلوكية التى يقوم بها الطالب داخل الصف وبين جرائم الاعتداء وتحطيم الممتلكات· وتوصلت كذلك بعض الدراسات الى وجود علاقة بين الغياب عن المدرسة وبين استخدام المخدرات وشرب الكحول ، وان المراهقين الجانحين غالبا مايتصفون بعادات سيئة فى المذاكرة ، يحصلون على علامات منخفضة ويفشلون كثيرا فى أعمالهم المدرسية ، ويقومون باضطرابات سلوكية وبشكل متكرر ، ويتسربون من المدرسة ، وأقل وضوحا فى تحديد أهدافهم ، وأقل مشاركة فى الأعمال التطوعية ، وغالبا ماينتقلون من مدرسة الى أخرى أكثر من الطلبة الآخرين ·

فقد لوحظ من خلال احدى الدراسات أن ٦١٪ من بين ١٣٤٣) جانحا كان دوامهم غير منتظم · ومن بين (٩٧٧) جانحا منتهكا للأنظمة والقوانين، وجد أن ٨٥٪ منهم كانوا متخلفين فى دراستهم لفترة تتراوح بين السنة الواحدة والخمس سنوات ، وان ١٢٪ منهم فقط كانوا فى الصفوف التى تتناسب وأعمارهم الزمنية ، وان ٢٪ منهم فقط كانوا من المتفوقين فى دراستهم فقد وضعوا فى صفوف أعلى من الصفوف التى وضع فيها زملاؤهم المتساوون معهم فى العمر الزمنى ·

وقد وجد من بين (٧٦١) طالبا جانحا أن ٤٤٪ من هؤلاء الطلاب قد

أعادوا فصلا دراسيا على الأقل ، اذا ماقورنوا مع (١٧٪) وأن مايقرب من ٦٠٪ من هؤلاء الطلاب قد أفصحوا عن كرههم للدراسة ، وان (٣٤٪) منهم كانوا متغيبين عن المدرسة اذا ماقورنوا بالأطفال الأسوياء والذين لـــم تتجاوز غيابهم (٧٪) هذا وان هؤلاء الطلاب الأسوياء كانوا يتمايزون بالذكاء العالى ، أما الطلاب الجانحون فان أكثرهم كانت نتائج فحوص ذكائهم ضمن حدود الحالات السوية ومن المحتمل أن هؤلاء الجانحين يحسون بالفشـل والخيبة الى درجة كبيرة بالنسبة لحياتهم الدراسية · (حافظ ، ١٩٨٣) ·

كثير من الطلبة يضيقون ذرعا بالمدرسة لمجرد أن مايعطى لهم ومايلقى عليهم من معلومات لاتتناسب ولاتتفق مع قدراتهم وطاقاتهم العقلية ، فهم قد لا يستطيعون فهم هذه المعلومات أو استيعابها · مما يؤدى الى فقدان الرغبة لديهم بالمدرسة · وعندما يتكون لديهم هذا الشعور فانه يؤدى الى عدم رغبتهم فى مواصلة الدراسة والتحصيل ، وتتولد لديهم الكراهية نحو المدرسة ، وهكذا بالتالى قد يؤدى الى ايجاد وسيلة للخلاص من هذه المشكلة حيث يلجأ بعض الطلبة الى الهروب من المدرسة والقفز عن الأسوار المدرسية، يلتقى مع جماعة الرفاق المنحرفين ، وتكون مراكز الأحداث مصيرهم ، لذا كان لابد من ايجاد بعض الطرق والأساليب لمعالجة هذه المشكلة كما أشار اليها التل (١٩٨١) ومنها :

١ ـ أن تهتم المدرسة بتكوين شخصية الطالب وتطويرها ونموها ·

٢ ـ انشاء عيادة نفسية داخل المدرسة ، ولاشك أن المدرسة التـــى يتوفر فيها مركز للارشاد النفسى والاجتماعى والمهنى يمكن أن تؤدى الى خلق جو مريح للطالب ·

٣ ـ التعاون بين المدرسة والبيت حجر الأساس فى قدرة المدرسة على القيام بواجبها فى عملية الانضباط المدرسى ·

٤ ـ تطوير البرامج المدرسية لتتفق مع حاجات الطلبة فى مراحـل تطورهم المختلفة ·

٥ ـ توفير النشاطات وتنمية الخدمات التى تتيح للطلاب قدرا أكبر من الترفيه مع الاهتمام بخلق روح المنافسة الشريفة بينهم ·

٦ - توزيع الجوائز والمنح والمكافآت المدرسية على الطلاب تخلق نوعا من الروابط الودية بينهم وبين المدرسة .

٧ - اتباع سياسة مرنة تسمح لهم بقدر من الحرية وابداء الـــرأى والاعتراض والمناقشة .

٨ - محاولة المعلم أن يبذل أقصى قدراته فى مساعدة الطالب المشكل على تغيير سلوكياته حيال المؤثرات المختلفة وأن يكسب الثقة بنفسه .

ويظهر لنا مما تقدم مدى اسهام المدرسة فى تكوين السلوك الجانح أو تطويره من خلال بعض الممارسات السلبية والخاطئة التى تقوم بهـــا أحيانا ، ولذا يتحتم على المدرسة أن تعمل على تحسين وتعديل الضعف فى المناهج الدراسية من حيث محتواها ومنذ المراحل الدراسية الأولـى للطالب ، ولقد أشارت الدراسات أن العلاقة بين فشل المدرسة والجنوح تكون قوية عند الذكور منها عند الاناث ، ولذلك يجب على المدرسة مساعدة الطلاب الذكور وتشجيعهم للتقليل من الجنوح ، وتشير كذلك الدراسات الى أن المراهقين الجانحين بحاجة ماسة لتوفير الفرص أمامهم لتحقيق النجاح من خلال النشاطات المدرسية التى يمارسونها ، وعلى المدرسة تهيئة النشاطات المدرسية التى يمارسونها ، وعلى المدرسة تهيئة النشاطات الحرة التى تشبع ميول الطلاب ورغباتهم واهتماماتهم الفردية مما يؤدى بالطالب الى الشعور بالانتماء الى المدرسة وتوفير البيئة الاجتماعية المريحة والخالية من العوائق والاحباطات لتشجيعهم على المشاركة فى النشاطات المدرسية .

الانضباط الصفى :

يعتقد العديد من معلمى المرحلة الثانوية أن مشكلة المحافظة علـــى النظام داخل الصف الدراسى من أهم المشاكل التى يواجهونها أثناء ممارستهم لمهنتهم التدريسية ، ويعتقد بعضهم أنه من الصعب بالنسبة لهم دفع كثير من الطلاب وخصوصا فى المرحلة الثانوية على الالتزام بقواعد ومعايير حفظ النظام داخل الصف الدراسى ، كما ويعتقدون أن كل ما يمكن أن يفعلوه هو ارسال الطلاب الخارجين عن قواعد حفظ النظام الى مدير المدرسة ، ويصرح بعضهم بأنه يملك القدرة والكفاءة على حفظ النظام فى الصـف وذلك باللجوء الى استخدام بعض الاستراتيجيات كالتهديد والعقـــاب ،

واعطاء واجبات اضافية ، والقيام ببعض المهمات الجسمية ، واستخدام أسلوب التوبيخ ، ونقل الطالب من مقعده ، وترسيب الطالب فى الموضوع الذى يدرسه المعلم ، ووضع الطالب فى سجن انفرادى (وذلك بوضعه فى مكان مافى غرفة الصف حيث لايوجد طلاب آخرون) · ولكنهم طالما لايتساهلون فيها فبامكانهم التحكم فى سلوك الطلاب وفقا للقواعد وللمعايير السلوكية المرسومة لهم ·

يتضح أن أغلب هذه الأساليب والطرق التى يلجأ اليها المعلمون لحفظ النظام فى الصف هى أساليب بوليسية تستخدم فى الأنظمة الدكتاتورية ، واذا كان المعلم يشعر بأن عمله أصلا هو عمل بوليسى ، أو هو يلعب دور البوليس أكثر من دوره كمرب فانه يشعر بأن مايقوم به ليس خارجا عن القواعد والأنظمة باستخدامه هذه الوسائل لحفظ النظام ·

ومن ناحية أخرى ، نجد أن كثيرا من المعلمين مدربون وبشكل جيد على حفظ النظام فى الصف ، وذلك بتوظيف المبادىء والنظريات فى علم النفس المتعلقة بهذه المشكلة ، وكذلك من خلال ادراكهم لحاجات ودوافع المراهق الأساسية فى هذه الفترة والعمل على اشباعها ورعايتها بطرق تربوية سليمة ·

وهكذا ، فعندما يسلك الطالب سلوكا غير مرغوب فيه ، فان على المعلم أن يسأل نفسه بعض الأسئلة مثل ، ما الذى يريد أن يحققه الطالب من خلال قيامه بهذا السلوك ؟ وماهى الحاجة الأساسية التى يحاول اشباعها عند ممارسته لهذا السلوك ؟ وكذلك على المعلمين ادراك الدوافع التى تقف وراء كل سلوك يقوم به الطالب حيث أن لكل سلوك هدفا يحاول الفرد تحقيقه ·

فاذا كان الطالب يتأخر عن المدرسة وبشكل متكرر ، فعلى المعلم محاولة معرفة السبب الذى وراء هذا السلوك ، فربما لاتملك الأسرة ساعة منبهة ، وربما يتحتم على الطالب القيام ببعض الأعمال قبل قدومه للمدرسة ، وربما أن الأم مريضة حيث على الطالبة أن تنظف أطباق الأكل وغيرها من أعمال المنزل قبل ذهابها الى المدرسة · واذا لم يقم الطالب بانجاز بعض الواجبات المطلوبة ، فعلى المعلم تقصى أسباب هذا العجز الذى قد يعود الى افتقار

الطالب لمهارات القراءة والكتابة أو نقص فى الدافعية وطموح لديه · والطالب الذى يصغر » فى الصف قد يكون سببه انه ليس هناك عمل مايشغله ، أو قد يكون العمل الذى يقوم به صعبا بالنسبة له هناك مايثير اهتمامه ، أو أنه يشعر بالملل ، أو قد يكون بحاجة الى الاهتمام من الآخرين ·

وكذلك اذا شعر الطالب بالحرمان من المشاركة فى بعض النشاطات المحببة له فقد يقوم ببعض الاضطرابات السلوكية لجذب انتباه الآخريـــن واعترافهم به وللانتقام من السلطة المشرفة ، ولذلك على المعلم أن يكون على وعى تام بمعرفة الدافع أو مجموعة الدوافع التى قد تدفع الطالب للقيام ببعض السلوكيات غير المقبولة والخارجة عن النظام داخل الصف الدراسى والتعامل معها بطرق تربوية صحيحة · وهناك كثير من الأنماط السلوكية غير المقبولة التى يمارسها الطلبة فى المدرسة ، وتتعارض فى طبيعتها مع القواعد والمعايير السلوكية المرغوب فيها التى ترسمها المدرسة لطلابها ومن أهم نماذج السلوكيات غير المقبولة التالى : ـ

السرقة : ـ

هناك دائما أسباب أو دوافع وراء قيام الطالب بهذا السلوك ، فعلى المعلم أن يحاول معرفة الحاجات والدوافع التى تقف وراء هذا السلوك · فقد يسرق الطالب لأنه جائع ، أو بحاجة الى ملابس أو أنه بحاجة الى نقود كى يفاخر بها أصدقاءه ، وقد يتلقى القبول والاستحسان الاجتماعى بيـــن أقرانه اذا كان يملك نقودا لشراء بعض الهدايا لهم ، وبعض الطلاب يسرقون لينتقموا من طالب آخر ، أو من المعلم أو من والديه ، ولكن السؤال المهم هو : ما الذى يمكن عمله لطالب يمارس مثل هذا السلوك ؟ وأعتقـــد أن الجواب يمكن فى الكشف عن الدوافع والأسباب التى تقف وراء هذا السلوك فالطالب الذى يسرق لأنه جائع ، يجب التأكد من اشباع حاجاته الأساسية الضرورية ، والطالب الذى يسرق حتى يتمكن من شراء الهدايا أو بعض الحاجات الأخرى الى أصدقائه ليشبع دافع القبول والاستحسان الاجتماعى، فهو بحاجة الى مساعدة للشعور بالقبول والاهتمـــام من المحيطين به ، باستخدام طرق متعددة · والطالب الذى يسرق لينتقم من معلمه ، فانه بحاجة الى مزيد من الرعاية والاهتمام والقبول والتشجيع من معلمه ، واتاحـــة

الفرصة أمامه ايتخلص من هذا السلوك · ومن وجهة نظر العاملين فى مجال الصحة النفسية ، فانه من الخطأ محاولة الحصول على اعتراف من قبل الطالب الذى يقوم بممارسة هذا السلوك ، أو بمحاولة التشهير به ، لأن مثل هذه الاجراءات قد لاتؤدى الى معرفة السبب الحقيقى الذى دفع الطالب للقيام بهذا السلوك ، وانما قد تدفعه الى ارتكاب سلوك الكذب وان وسمه بلقب أو سمة سيئة قد تدفعه الى الانتقام أو القيام ببعض الانحرافات السلوكية الأخرى ·

مشكلة الغش :

تعد ممارسة الطالب للغش فى الامتحانات من مظاهر عدم الشعور بالمسئولية · فالطالب الذى يمارس هذا السلوك يحصل على مكافأة دون جهد يبذل · ومن المسلم به أن لجوء الطالب الى ممارسة مثل هذا السلوك يقلل من أهمية الدافع الذى يعمل على زيادة قدرات الفرد ، وتحقيق التحصيل المتميز لمستويات مختلفة من الأهداف التربوية ، وأن اللجوء الى الغش فى الامتحانات يقلل من أهمية الاختبارات فى اتخاذ قرارات تربوية ·

ويتضمن سلوك الغش فى الامتحانات قيام الطالب بعدد من السلوكيات غير المشروعة كالكتابة على قصاصات الورق ، ونقل الاجابة من الآخرين أو الحديث مع الطالب الذى يجلس فى المقعد المجاور أو الكتابة على المقعد الذى يجلس عليه الطالب الى غير ذلك من السلوكيات · (مقابلة ، ١٩٨٩) ·

وقد أبرزت نتائج كثير من الدراسات أن من بين الخصائص السلوكية الذى يتصف بها الطلبة الذين يمارسون الغش بأنهم على العموم يتصفون بعدم الكفاءة الشخصية وأقل اعتمادا على أنفسهم ، ويبذلون جهدا ضعيفا فى دراستهم للامتحان وكذلك تدل بعض الدراسات أن لظاهرة الغش علاقة بالمنهاج الدراسى حيث لايتمشى مع قدرات واهتمامات الطلاب ، فان عملية استعدادهم للامتحان تكون ضعيفة وبالتالى يلجأون للغش للحصول على علامة النجاح · (Stieninger; 1964)

ان بعض المراهقين يلجأون الى الغش فى الامتحانات لأنهم فى استذكارهم لدروسهم يؤمنون ايمانا قاطعا ومطلقا بالكلمة الواردة بالكتاب

المقرر · وقد يؤدى هذا الى احساسهم بالعجز عن الاستقلال وعن التعبير بأسلوبهم وعما اكتسبوه بالاستذكار من الكتاب المقرر أو غيره من كتب خارجية ومجلات ، ان احساسهم بالعجز عن التعبير الذاتى ، يحملهم على اللجوء الى نقل ما ورد بالكتاب المقرر فى الامتحان · ومن الطرق والأساليب التى قد تساعد الطلاب على التقليل من ممارسة الغش هى :

ان لايعطى المعلم الاختبار أهمية أكثر مما يجب ، وعليه أن يتجنب أن يذكر فى بداية الاختبار أن من يفشل فى هذا الامتحان ليس له فرصة النجاح فى المادة أو أن درجة تحصيلهم تعكس درجة ذكائهم ، فكل ذلك يقود الطالب الى الاعتقاد ان الامتحان غاية بحد ذاته وليس وسيلة تشخيص لنقاط الضعف فى بعض المهارات الأساسية للمادة المعنية للوقوف عليها ومعالجتها المعالجة السليمة · وتشجيع الطلبة على الاستقلالية والشعور بالمسئولية فى ادارة شئونهم الخاصة ، والتقليل من صعوبة الأسئلة فى الامتحان ، وأن يوفر المعلم الحد الأدنى من الراحة النفسية والجسمية للطالب أثناء تطبيق الاختبار·

مشكلة الكذب :

الكذب هو عدم الصدق فى ذكر الوقائع كما هى ، أو ذكر أشياء لم تحدث أو انكار أشياء حدثت ، أو المبالغة فى تصوير موقف ، أو التأكيد على بعض جوانب الواقع الحادث ، وتسليط الأضواء عليها ، والتهوين منجوانب أخرى وابعاد الأضواء عنها · وفى كلام الصغار كذب قليل أو كثير ، واما بالنسبة لكذب المراهقين فهو أكثر خطورة لأن فى مرحلة المراهقين أقوى الفرص لتعديلها مقارنة مع الفرص فى المراحل اللاحقة · من هنا جاء تركيز المربين واهتمامهم فى دراسة أساليب الكذب وطرق تعديله فى هذه المرحلة ·

والواقع أن المراهقين يكذبون لأكثر من سبب ومن الأسباب التى تدفع المراهقين للكذب ، الخوف من ذكر الحقيقة وماقد يترتب على ذلك من عقوبات ، والرغبة فى ارضاء الكبار ، أو عدم ذكر الحقيقة المؤلمة لهم ، ورغبة المراهق فى اللعب بأعصاب الكبار وخداعهم ، وقد يكون الكذب نتيجة لعدم اتقان اللغة والعجز عن التعبير ، أو نتيجة تشجيع الكبار للمراهقين على أن يكذبوا واعطائهم المثل العملى السيىء · (ميخائيل ، ١٩٧٧) ·

مشكلة الغياب عن المدرسة :

ان المراهق الذى يتغيب عن المدرسة من غير اذن قد لايرغب فى الذهاب الى المدرسة ، ويرغب فى عمل أشياء أخرى ، كالذهاب الى السينما ، أو القيام بنزهة أو اللعب فى الشارع ، أو ممارسة بعض النشاطات التى يهتم بها مع صديق له · وقد تعود أسباب غياب الطلبة عن المدرسة فى المرحلة الأعدادية والثانوية الى ما يلى : سوء المعاملة التى يتلقاها الطالب فى المدرسة من المدير والمعلمين ، تراخى الادارة المدرسية وعدم متابعتها لحالات الغياب، عدم راحة الطلاب فى المدرسة وعدم توفر فرص الاشباع لحاجات وميول الطالب ، وشعور الطالب بالفشل فى متابعة المناهج الدراسية ، وعدم اثارة المناهج والأنشطة التعليمية لاهتمام الطالب ، ونقص رقابة الأسرة على الطالب ، وقيام بعض ذوى السلوك المنحرف باغراء الطلبة بالتغيب عن المدرسة واحتراف مهنة النشل والرذيلة والنقص فى الدافعية للاستمرار فى التعلم ، وارهاق الطلبة بالواجبات المدرسية والتى قد تتعدى طاقتهم ·

يتحتم على المعلمين ادراك غياب بعض الطلاب عن المدرسة كمؤشر لعدم سلامة الموقف التعليمى · واذا ما حدثت بعض التغيرات فى المناهج والأنشطة التعليمية يجب أن تستثير دافعية الطلاب واهتمامهم بها ، ومعاملة المعلمين للطلاب معاملة حسنة وقبولهم وتشجيعهم قد يساهم فى تقليل نسبة الغياب عن المدرسة · وكمثال على ذلك حالة الطالب (س) الذى كان يغيب عن المدرسة وبشكل مستمر ، وقد واجه المسئولين فى المدرسة صعوبة كبيرة فى تحديد أسباب هروبه أو غيابه ، وبعد أن أصبح أحد أعضاء نوادى القراءة (الذى يعمل على مساعدة الطلاب الذين يعانون مشاكل فى القراءة) وأصبح مسئولا عن اعلام الطلاب عن موعد المقابلات واللقاءات فى النادى ، فقد اختفى غيابه بغير اذن من المدرسة فى الأيام التى يلتقى أعضاء النادى، وبعد ذلك بدأ يذهب الى المدرسة كل يوم ، ولم يحاول الغياب عن المدرسة لأنه سيخسر مسئوليته ودوره المهم فى النادى (Glenn & Stewart, 1964) .

تحطيم املاك المدرسة :

فى صباح أحد الأيام وصل التلاميذ والمعلمين الى المدرسة (أ) الثانوية فوجدوا بعض زجاج النوافذ والمصابيح الكهربائية أمام المدرسة محطمة ·

وقد حدد المسئولون بأن (س) قام بهذا العمل وهو فى الصف الثالث الثانوى، وهو معروف بسلوكياته المنحرفة وغير المقبولة ، وعندما جرى التحقيق معه **اعترف بعمله الذى قام به ، لكنه لم يحدد الهدف وراء هذا السلوك** ، وعقد اجتماع بين المعلمين والمدير لتوضيح مايمكن أن يفعلوه بالطالب (س) ، رأى بعض المعلمين بأنه طالب مزعج وغير مرغوب فيه بالمدرسة وليس هناك سبب مقنع لاستمراره فى المدرسة ، واقترح آخرون فصله من المدرسة ، وقد رفض الرأيين وبشدة أحد المعلمين وشرح وجهة نظره وقال بأن الطالب (س) هو ضحية ظروف يواجهها فى المدرسة · ولذلك كان تحصيله الأكاديمى منخفضا ، ولم يتلق أية تشجيعات أو قبول من معلميه ، وان رغبته فى المكانة المتميزة والاهتمام لم تتحقق أو تشبع من النشاطات المدرسية · وأضاف أن كل مايحتاجه الطالب هو اعطاؤه فرصة ليشعر بأهميته من خلال مشاركته بالنشاطات المدرسية :

وقد أشار أحد المعلمين الآخرين أن المدرسة بحاجة الى مساعد آخر للمرشد النفسى بالمدرسة ، وهناك بعض المكافآت لمن يقبل بهذه المهمة ، وبعد المناقشة تم الاتفاق على أن يبلغ المدير هذا الاقتراح الى الطالب ،وقبل الطالب هذا العمل وبحماس كبير وبعد فترة زمنية من ممارسته العمل اختفت سلوكياته غير المقبولة لأنه وجد فى هذا العمل مايشبع حاجته الى المكانة والاهتمام·

مشكلة حفظ النظام فى الصف :

ان عملية حفظ النظام فى الصف كانت وما زالت موضع اهتمام الكثير من المربين والمعلمين وأولياء أمور الطلاب وخاصة فى العقد الأخير من هذا القرن ، ومما يلفت النظر اليوم هو أننا نجد المعلمين وخاصة فى المرحلة الثانوية يواجهون مشكلة الضبط وحفظ النظام فى الفصل ، ومما يزيد الاهتمام بهذه المشكلة صلتها الوثيقة بالتحصيل المدرسى وفاعلية العملية التدريسية ، حيث تعتبر عملية حفظ النظام فى الصف عنصرا هاما واساسيا فى التعليم لأنها تؤدى الى خلق الظروف والمحافظة على الشروط التى تساعد عملية التعلم على تحقيق أهدافها بكل فعالية وكفاية انتاجية (مقابلة ، ١٩٨٩)·

ومن الأنماط السلوكية التى يمارسها بعض الطلاب داخل الصف الدراسى غير المرغوب فيها ولا تتمشى مع المعايير والقواعد فى المدرسة ،

الخروج من المقعد ، الركض داخل غرفة الصف ، والعبث بالأشياء وايذاء الآخرين ، والتكلم دون استئذان ، وعدم اطاعته التعليمات ، والتكلم مع الأقران ٠

معالجة مشاكل النظام المدرسى :

يجب على المعلمين أن يدركوا ان المراهقين (أو أى شخص آخر) ، يتصرفون عادة وفقا للطريقة أو الفرصة المتاحة لهم ، آخذين بعين الاعتبار مدى تأثير كل من الخصائص الوراثية التى يمتلكونها ، والخبرات التعليمية التى تعلموها ، ومدى تأثير الضغوط الاجتماعية والحاجات البيولوجية والنفسية على سلوكهم حين حدوثه ، وهذا ، يعنى بشكل عام بان سلوك الفرد هو مسبب تقف وراءه مجموعة من الأسباب ٠ واللجوء الى هذا الافتراض لفهم وتفسير السلوك الانسانى يتيح الفرصة أمام المعلمين للتأثير أو لتغير سلوكيات المراهقين من خلال مساعدتهم فى اعادة تنظيم البيئة أو المحيط الذى يعيشون فيه ٠ وكثير من الطلاب الذين يقومون باضطرابات سلوكية تم تغير سلوكهم الى سلوك مقبول خصوصا بعد ما تم تشجيعهم وقبولهم وانتمائهم لجماعة يتميز أعضاؤها بالمثل والقيم والمعايير السلوكية الجيدة ٠

ويعتقد الكثير من التربويين والمختصين فى هذا المجال أن الحل يكمن فى التعاون وتنظيم الجهود بين المعلمين والمدراء حيث تقع على الجميع مسئولية تحديد قواعد السلوك المقبولة والمرغوبة من الطلاب ٠ اذا تصدر عن المتعلم أحيانا استجابات غير مرغوب فيها ، وقد يعود ذلك الى وجود قواعد واضحة تحدد أنماط السلوك المرغوب فيها ، أو عدم ادراك المتعلم لهذه القواعد فى حال وجودها ٠ ولهذا على المعلم أن يحدد قواعد السلوك المناسب بوضوح ، وأن يتأكد من معرفة المتعلم لها ، فالحدود الواضحة والثابتة التى يقيمها المعلم فى معايير وقواعد معينة ، هى من أفضل الطرق التى تساعد الطالب على معرفة ما المتوقع منه ٠ وتحقق هذه القواعد فى حال وجودها وتطبيقها على نحو ثابت ومتسق وظيفتين هامتين ، فهى من جهة ، تمكن الطالب من الفهم بأنه موضوع اهتمام المعلم ورعايته وتمكنه من جهة ثانية ، من الاحساس بالعدالة والمساواة مع غيره من الطلاب ٠

وقد أشار جونز (Jones 1980) فى دراسته الى ان على المعلم أن يتذكر دائما أن الهدف الأساسى من عملية حفظ النظام فى الصف هو تسهيل عملية التعلم وجعلها ممكنة ، وعليه أن يتذكر أن عملية ضبط الصف ليست هى غاية فى حد ذاتها ، بل ان الهدف الأسمى والمنشود هو مساعدة الطالب على تطوير الانضباط الذاتى ، ومع مرور الوقت وبقدر المستطاع نجد أن عملية الانضباط الخارجى المفروضة على الطالب قد استبدلت بعملية الانضباط النابع من ذات الفرد .

ويرى جلاسر (Glasser, 1969) أن مشكلة ضبط الصف وحفظ النظام فيه مشكلة كبيرة بين طلاب المرحلة الثانوية ، ففى هذه المرحلة يكون الطالب اكثر قدرة من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية وبالتالى لديهم القدرة الجسمية على القيام بالاضطرابات السلوكية اذا ما قورنوا بطلاب المرحلة الابتدائية والاعدادية ، وأن الطلاب فى هذه المرحلة بحاجة إلى تحديد واضح للأنماط السلوكية المرغوبة ، ويجب أن تكون طريقة ضبطهم بطريقة غير مباشرة لأنهم يشعرون بأنهم فى هذه المرحلة أصبحوا مساويين للراشدين فى كثير من المظاهر والخصائص السلوكية ، ولكن اذا ماتحدوا سلطة المعلم والنظام المعمول فى المدرسة فعلى المعلم حينئذ أن يستجيب بشكل مناسب وذلك على ضوء القواعد والقوانين المعمول فيها بالمدرسة .

ويرى جلاسر أن عملية ادارة الصفوف ركزت على مجالين رئيسيين لهما علاقة قوية فى هذا الميدان ، مجال تعديل السلوك وتشكيله (Behavior Modification) والذى يقوم على نظام المكافآت والتعزيزات لتشجيع الأنماط السلوكية المرغوب فيها ، أما المجال الثانى فهو الاتجاه الانسانى (Humanistic approach) والذى يعمل على اتاحة الفرص أمام الفرد للتعبير عن مشاعره وعواطفه ، وقبول الطلاب كأفراد والاهتمام بهم ، والعمل على خلق البيئة الصفية المريحة والمرغوب فيها حتى تساعد على ازالة التوتر والاحباطات التى قد تسبب الاضطرابات السلوكية .

ولقد أشار عاقل (١٩٨٠) الى أن هناك بعض الطرق البناءة التى تقود الى مناخ صفى صحى وتساعد المعلم على توفير مثل هذا المناخ منها :

١ - يجب أن يتعلم المعلم أسماء طلابه بأسرع مايمكن ، وأن يتعلم لفظها الصحيح · ولذلك فقد يحسن صنعا اذا درس هذه الأسماء قبل أن يدخل غرفة الصف ويواجه الطلاب · ان معرفة الطلاب وحفظ أسمائهم يساعدان المعلم على بناء علاقات طيبة مع طلابه بوصفهم أفرادا ويخلقان جوا اجتماعيا طيبا ·

٢ - يجب أن يبدأ المعلم التعليم حين يكون الطلاب مستعدين وراغبين فى الانتباه ، وعليه أن ينتظر بعض الوقت حتى يجلسوا فى اماكنهم ·

٣ - على المعلم أن يعرف ما يريد فعله وكيفية فعله على الوجه الأنسب، ومن ثم ينطلق الى التعليم بثقة وحماس ·

٤ - يجب على المعلم أن يجعل نبراسه : الثواب خير من العقاب ، ولذلك فالمديح والثناء خير من التقريع والعقاب ، وحرية التعبير خير من الكبت ·

٥ - على المعلم أن يكون متسامحا وصبورا ، وقد يكون من الخطأ ان يسارع المعلم الى زيادة الاهتمام بخطأ بسيط ·

٦ - يجب أن يتجنب المعلم مجابهة الطالب أمام الصف ·

٧ - يجب أن يكون المعلم مستعدا دوما لمساعدة الطالب الفرد كما يجب أن يكون صبورا فى شرحه عطوفا فى مساعدته بحيث يشعر الطالب بأنه ذو أهمية وانه مرغوب فيه ·

وتوصل بروفى (Brophy, 1982) بعد مراجعته لسلسلة من الدراسات فى هذا الميدان ان المفتاح الرئيسى لادارة الصفوف بفعالية هو استخدام النظام الوقائى ، ويعنى أن المعلمين الفعاليين فى ادارة الصفوف يتميزون بنجاحهم فى منع حدوث وظهور المشاكل داخل الصف فى المقام الأول بدلا من استخدام المهارات الخاصة لمعالجة المشاكل حين ظهورها ·

ويؤكد كونن (Kounin, 1970) أن سر النجاح فى ادارة الصفوف وحفظ النظام فيها يعود فى المقام الأول الى انشغال الطلاب فى نشاطات أكاديمية فعالة وذات معنى ، ويرى أن مرور بعض الوقت من غير انشغال الطلاب فى بعض الأنشطة يؤدى الى الاضطرابات السلوكية ·

ويؤكد كونن كذلك أن أكثر المعلمين نجاحا فى ادارة الصفوف وحفظ النظام فيها هم الذين يقضون - غالبا - أدنى مايمكن من الوقت فى معالجة الاضطرابات السلوكية ، والذين يخططون للعملية التعليمية ، وأن طلابهم يكونون وباستمرار مشغولين فى نشاطات أكاديمية بناءة ولذلك فانهم يحولون دون ظهور المشاكل السلوكية فى الصف فى المقام الأول ٠

وتشير نتائج دراسات عديدة (Becker, Engleman, and Thomes, 1975) ان المناخ الصفى المتسم بالانضباطية والهدوء يساعد على تطوير قدرات معينة لدى الطلاب تسهل تعلمهم وتمكنهم من اكتساب المهارات التعليمية بشكل انجح كالقدرة على تركيز الانتباه ، والمثابرة على العمل المدرسى لفترات طويلة وشيوع روح النظام والانضباط ، وسيادة العمل التعاونى وبخاصة عندما يتخذ النظام الصفى أو المدرسى شكل مهارات تعليمية ينبغى على الطلاب اكتسابها وممارستها ٠ كما يساعد ذلك المناخ الصفى على توفير وقت أطول للمعلم ، يستثمره فى توجيه تعلم طلابه ، وتزويدهم بالتغذية الراجعة المناسبة ٠

ويقترح (Gleen & Stewart, 1964) . ، ثمانية مبادىء للمحافظة على النظام المدرسى وبفعالية :

١ - استخدام نظام المكافآت والتشجيع والقبول والاستحسان الاجتماعى ، يلعب دورا مهما فى تعلم السلوكيات المقبولة أكثر من اللجوء الى العقاب أو اللوم والتوبيخ ٠

٢ - انه من غير الحكمة معاقبة الصف بأكمله بسبب قيام طالب أو بعض الطلاب بسلوكيات غير مقبولة ٠

٣ - أن عملية التأنيب والتهكم والتقليل من شأن الطلاب ليست وسيلة فعالة لحفظ النظام فالطلاب حساسون جدا فى هذه الفترة ، ويلحق بهم الأذى بشكل كبير من جراء استخدام هذه الاجراءات ٠

٤ - على المعلم أن يدرك أن سوء التصرف من قبل بعض الطلاب لايعنى تحديه أو اهانة علنية موجهة اليه ، بل ان هناك دافعا وراء قيام الطالب بمثل هذا السلوك ٠

٥ - اتاحة الفرصة بقدر الامكان ، امام الطلاب للمشاركة فى تحديد المعايير السلوكية المقبولة داخل الصف أو فى المدرسة ٠

٦ - يجب أن يشعر الطلاب أن المناهج والأنشطة التعليمية التى يتعلمونها ويشتركون بها بأنها ذات قيمة بالنسبة لهم وتتمشى مع حاجاتهم وقدراتهم ٠

٧ - عندما تظهر المشاكل السلوكية على المعلم أن يسأل نفسه : ماهو الخطأ بالموضوع الذى أدرسه ؟ وما الخطأ فى الطريقة التى استخدمها فى التدريس ؟

٨ - على المعلم أن يدرك أن بعض المشاكل السلوكية التى يقوم بها الطلاب قد تعود الى أسباب جسمية مثل تأخر النمو وضعف البنية وضعف الحواس كالسمع والبصر أو خلل فى عمل الغدد ، ولذلك يجب التعرف على المشكلة بطريقة موضوعية ، وتوجيهها توجيها علاجيا سليما لتحسين توافقه الصفى والمدرسى ٠

ويحاول المعلمون جاهدين تعديل بعض مظاهر السلوك غير المرغوب فيه والتى تصدر عن بعض الطلاب داخل الصف الدراسى لاتاحة فرصة ظهور مناخ صفى مناسب يجعل العملية التعليمية أكثر فعالية ٠ بيد أن بعضهم يفشلون فى تحقيق مثل هذا الهدف وربما يعود ذلك الى عدم استخدام اجراءات سلوكية مناسبة ، الأمر الذى يجعلها غير مجدية فى الوضع الذى استخدمت فيه ، لذلك لابد للمعلمين من تطوير استراتيجيات مناسبة تمكنهم من انتقاء الاجراءات السلوكية المناسبة ، وتطبيقها فى الأوضاع الصفية العادية على نحو يؤدى الى تقوية الأنماط السلوكية المرغوب فيها ، واضعاف غير المرغوب فيها ومحوها ٠

المراجـــــــع

- ابراهيم عبد الله العمار ، مشكلات طلبة المرحلة الاعدادية وحاجاتهم الارشادية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، ١٩٧٥ .

- أحمد التل ، الانضباط المدرسى ، عمان ، مطبعة النصر ، ١٩٨١ .

- حافظ ، نورى ، المراهق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ .

- فاخر عاقل ، علم النفس التربوى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠.

- مقابلة ، نصر يوسف ، ظاهرة الغش فى الامتحانات ، مجلة كليـــة الآداب - جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .

- مقابلة ، نصر يوسف ، سيكولوجية المعلم الفعال «دراسات وبحوث» مجلة كلية التربية ، العدد الثالث عشر ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ .

- محمد مصطفى زيدان . النمو النفسى للطفل والمراهق ، دار الشروق ، ١٩٧٩ .

- ميخائييل ، أسعد يوسف ، رعاية المراهقين ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

المراجع الأجنبية :

Becker, W. Englemann, S., and Thomas, D.R. Teaching 1 : Classroom management, Chicago : Science Research Associates, Inc., 1975.

Brophy, J.E. Classroom Managemen. **Reading Teachers, 3 6,** 1982, 606-608.

Glasser, W. School Without Failure. New York : Harber, and Row, 1969.

Glenn, M. & Stewart, J.R. **Psychology of Adolescence for Teachers :** The Macmillan Company, New York, 1964, 606-608.

Hurlook, E.B. "Adolescence development" 3rd, New York : Mc-Graw-Hill Co., 1967.

Jones, V.F. **Adolescens with behavior problems.** Boston : Allyn and Bacon, 1980.

Kounin, J. Discipline and Group Management in Classroom New York : Holt Rinehard and Winston, 1970.

Senna, J., Rathus, S.A. & Siegal, L. (1974) Delinquens behavior and Academic Investement Among Suburban youth. Adolescence, 9, 481-494.

Steininger, M. Johson, R.E. & Kirts, D.K. Cheating in College Examinations as function of stituationally aroused anxiety and hostility. **Journal of Educational psychology, 5** 5, 1964, 317-24.